

إلى العرب، بـ ألف ليلة وليلة، وهو مزج تمارسه المخيلة الشعبية عادة في رؤيتها الأسطورية للكثير من الظواهر والأشياء. غير أن من الواضح أيضاً أن التوتر العدائي الذي تفصح عنه رواية سرفانتيس عبر سياقاتها الثقافية الأقدم والأقرب إلى العصور الوسطى غير موجود هنا تقريباً. وما نلحظه بدلاً من ذلك هو عملية «خرفنة» Fic-tionalization إن صح التعبير - للواقع، أو الاتكاء على منظور خرافي في تصوير العرب إذ يحضرون إلى النص الروائي الأمريكي عبر حكايات دون كيهوته أو ألف ليلة وليلة بأطرها وسياقاتها السحرية البعيدة عن الواقع.

هذه الأطر والسياقات تجد ما ينفياها في رواية توين. ففي مقابل خيال توم سوير تبرز واقعية هكلبري فن بشكوكه المتواصلة: «... حين وصلتنا الأخبار انطلقنا خارج الغابة وانحدرنا مع التل. ولكننا لم نجد أسباباً أو عرباً، ولم يكن هناك جمال أو أفيال» (ص ٨). ولكن هذه الواقعية لا تسفر عن رؤية واقعية للعرب، فما أن يغيب توم، ويتولى هكلبري مقاليد الأمور كرفيق للزنجي جم الهارب من العبودية حتى نجده يواصل الدور الذي كان توم يلعبه كمتوقف بكل ما يتضمنه ذلك الدور من خلط للمعلومات وخرفنة للواقع. نجد ذلك في ما ينقله هك إلى جم من إضاءات حول تاريخ الاستبداد، فهو يخبر الزنجي عن الملك الإنجليزي هنري الثامن الذي كان يقتل زوجاته:

كان يتزوج امرأة جديدة كل يوم، ويقطع رأسها في الصباح التالي... وكان يأمر كل واحدة منهن أن تحكي له حكاية كل ليلة، وكان يجمع تلك الحكايات حتى اجتمع لديه ألف حكاية وحكاية بتلك الطريقة، وعندئذ وضعها في كتاب، وأطلق عليه كتاب دومزدي الذي جاء اسمه مناسباً موضحاً للموضوع (ص ٧٩).

العنوان الذي يشير إليه هك Domesday Book يتضمن ثلاثة مدلولات: فقد يشير إلى الكتاب الذي وضعه الملك الإنجليزي وليم الفاتح في عامي ١٠٨٥-١٠٨٦ لرصد ملاك الأراضي وممتلكاتهم، أو قد يعني «كتاب القيامة»، حسب المدلول المباشر لكلمة دومزدي، أو يشير، كما هو واضح من النص أيضاً، إلى ألف ليلة وليلة.